

لوعة عمر أميرالاي في جنازة سمير قصیر

بيار أبي صعب

كانت الكاميرات تبحث عن وجه جيزيل خوري، الأرملة المفجوعة، والزميلة القريبة من الجميع. الجمهور يحب رؤية المشاهير في لحظة اللوعة. لكن الاعلامية المعروفة التي كانت متمسكة تارة، وغائبة طورا، كأنها لم تفهم بعد ما حدث، ولا تريد أن تصدق... بدت أمس في جنازة رفيق دربها الصحافي المغدور به سمير قصیر، مجرد امرأة ظلّى خلف نظارتين سوداويتين، محاطة بالأهل والمتقين وأهل الاعلام، بالزماء والأصدقاء والرفاق. كانت تتقدّم التعازي أمام باب كنيسة مار جاورجيوس في قلب بيروت، إلى يسارها ابنتا سمير، وإلى يمينها الكاتب إلياس خوري. تحلم ربما أن تستيقن من ذلك الكابوس، وهي تراقب سبحة طويلة من السياسيين والاعلاميين والشخصيات تعبر من أمامها.

في الباحثة أكثرية طاغية من الشباب والشابات الذين صار لهم رمزهم وشهادتهم. سمير قصیر عنوان جبل آخر، أقحم عنوة في عالم السياسة، دخلها من بابها الديموغرافي والوطني والمطلي، أي من خارج الفئات المتاخرة، والحسابات السياسية الضيقة جاءه هؤلاء الحالمون بزمن عربي آخر يقولون غضبهم، ويبدعون قتيلهم، قتيل الأمل، وشهاد الحرية. تعرفهم من لباسهم العصري، من طريقة وقوفهم أو جلوسهم أو تعاطيهم مع المشهد العام، تعرفهم من لامباتهم وتأفهمهم حين تكون الكلمة لتجار السياسة، وحفاري القبور. بعد قليل سيرقصون بالعش الملفوف بالعلم، وهو يتجه إلى المئوي الأخير. فيما أحد رفاق سمير قصیر يدق برق على النعش كمن يربت على كتف صديق ليطمئنه، ليعزّيه ...

بين الحشود برز وجه أليف، هو السينمائي السوري عمر أميرالاي، وراءه زميله ومواطنه أسامة محمد. عمر أميرالاي أشرك الرحال مع رفيقيه إلياس خوري وفواز طرابلسي في فيلمه الشهير عن رفيق الحريري. وقبل أشهر شاركا معاً في ندوة عن جان لوک غودار ضمن " أيام بيروت السينمائية ". وكان قصیر أول المبادرين إلى اطلاق عريضة تضامن مع أميرالاي، عشية انعقاد " أيام قرطاج السينمائية " في تونس، الخريف الماضي، حين قامت أقلام متزقة بالتعرض لفيلمه " الطوفان "، رامية السينمائي السوري باتهامات باطلة، تدلّ من سمعته وموافقه الوطنية.

أخذ أميرالاي مكانه في طابور المعزين الطويل والبطيء. الوجوه مذهولة، والأعين مغروقة بدموع الحسرة والغضب. كان طلب إلى المعزين تقاديم المصافحة باليد وتجنب التقيل، كسباً للوقت ربما، أو رأفة بأعصاب أهل الشهيد... لكن الزمن توقف برهة، عندما وصل عمر أمام جيزيل. ارتمى كل منهما على الآخر.

بصمت. بلوعة. تشنج الوجهان، عجزاً عن قول الكلمات الحقيقة المكتوبة في القلب. وجمد طابور المعزين ثواني طويلة، في مكانه. ثم التفت أميرالاي خلفه، ليلتقي وجهاً آخر عزيزاً، هو الكاتب والمتقى السوري فاروق مردم بك، أقرب أقرباء سمير، وأكثر المفجوعين برحلته العنيف. الوجه المضيء للثقافة السورية، كان في ساحة النجمة يوم أمس، لوداع سمير قصیر. وتلك هي الصورة القوية التي عدت بها من جنازتك، متوجهًا إلى مكاتب " الحياة ". بينما سار المشيرون، خلف الموكب الجنائزي، إلى مقبرة مار متر... في الأشرفية. وداعاً سمير!

الموضوع: عام

المصدر: الحياة